لمحة تاريخية [١]

المرجح تاريخياً ان الفينقيين اجدادنا الذين استوطنوا سواحل سورية هم من العرب الذين نزحوا عن السواحل العربية على الخليج العربي ؛ وربما وجدوا على سواحل الكويت ولكن لا يوجد هناك اثر يدل على ذلك . في حين ان هذه الآثار متوفرة في البحرين وعلى ساحل الحسا وتدل على صحة هذه النظرية .

اذن فالكويت لم تكن معروفة في القديم ؛ وكذلك لم تكن معروفة في العهد الاسلامي وكانت ضمن المنطقة التي كان يطلق عليها العرب اسم « البحرين » وهي في عرف العرب في ذاك العهد المنطقة التي تمتد من البصرة شمالا الى البحرين الحالية جنوبا ؛ وبقيت كذلك خالية الى ان نزلها آل الصباح كما ذكرت .

صباح الاول : وانتخبوا من بينهم اميراً نصبوه عليهم هو صباح الاول وهو اول امير على الكويت وهو الذي اسس الكويت وهو جد الاسرة الحاكمة اليوم ؛ حكم في النصف الاخير من القرن الثاني عشر للهجرة ولا يعرف على الضبط متى تولى ولا متى توفي ؛ ولكن المشهور انه توفي في العشر الاخير من القرن الثاني عشر للهجرة وترك خمسة اولاد اكبرهم عبد الله .

عبد الله الاول : تولى الحكم بعد وفاة ابيه صباح وكان شجاعاً عاقلا وفي عهده هاجر آل خليفة — امراء البحرين الحاليون — من الكويت الى البحرين وكانوا وفدوا مع آل صباح الى الكويت ولكن حدث بين الطرفين خلاف ادى الى هجرة آل خليفة الى البحرين فصاروا امراءها .

---

[١] هذا الفصل مقتبس من كتاب تاريخ الكويت تأليف عبد العزيز الرشيد ج ٢ المطبوع في بغداد سنة ١٩٢٦

وقد توسعت الكويت في عهد عبد الله وعرف اسمها في الخليج وصارت مطمح انظار الطامعين فغريت مراراً وخاصة من قبل اهل نجد ومن جماتهم آل سعود طمعاً في اموال الكويت وانعامها ولكن عبد الله استطاع ان يحتفظ باستقلال الكويت ؛ توفي سنة ١٢٢٩ هجرية فخلفه ابنه الوحيد جابر .

جابر الاول : كان جابر في البحرين حينما توفي ابوه فاستقدمه الكويتيون وبايعوه بالامارة سنة ١٢٢٩ . كان جابر حازماً عاقلا شهماً كريماً رغم عدم غناه يعطف على الفقراء وكان براً رحيماً بشعبه وقد اتفق ان فرض ابنه صباح ضريبة على الدكاكين فاشتكى الناس الى ابيه فألغاها وعاتب ابنه وأوصاه بالكويتيين خيراً .

وقد حدث في عهده عدة غزوات منها ما شنها هو ومنها ما شنت عليه انتصر في بعضها وانهزم في بعض ، وقد حدث ان ثارت في زمنه بعض القبائل العربية على الحكومة العثمانية واحتلت البصرة فاستنجدت الحكومة العثمانية بجابر فانجدها بسفن وسلاح ورجال ومال وقاد بنفسه حملة الى البصرة فاستخلصها واعادها الى الدولة العثمانية فكافأته الحكومة بمقدار سنوي من التمر ، كما ان قبيلة كعب ثارت ايضاً على الحكومة العثمانية واستولت على المحمرة [١] فسار جابر اليها باسطول واستخلصها من ايدي الثائرين وسلمها الى الحكومة العثمانية .

وكان جابر يعتبر نفسه من رعايا الدولة العلية وقد طلب منه الانكليز نزع الراية العثمانية ورفع الراية الانكليزية واعطائهم بعض امتيازات فرفض ، فانعمت عليه الدولة العثمانية بمكافأة توفي سنة ١٢٧٦ . وترك عشرة اولاد ذكور منهم صباح الثاني .

---

[١] المحمرة إمارة عربية صرفة على الضفة الشرقية لشط العرب استولى عليها الفرس ظلماً وسجنوا اميرها العربي الشيخ خزعل ولا يزال سجيناً الى الآن فيجب ان يطلق سراحه وان تعود المحمرة الى احضان العراق والوطن العربي .

صباح الثاني : تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ١٢٧٦ وكان محباً للسلطة فاستأثر بالحكم وفي عهده اتسعت التجارة وكثرت الاموال وازدادت النفوس ، ولم يحدث في عهده ما يستحق الذكر سوى بعض الغزوات توفي سنة ١٢٨٣ وترك ثمانية اولاد ذكور وهم : عبد الله ، جابر جراح، محمد ، احمد ، مبارك ، عذبي ، حمود .

عبد الله الثاني : تولى الحكم سنة ١٢٨٣ بعد وفاة ابيه ، وكان في نظر الحكومة العثمانية وبالفعل قائمقام تابعاً لولاية البصرة وفي عهده حصلت عدة حروب اشهرها ان (جابر بن مراد) شيخ كعب وامير المحمرة استنجده على قبيلة العطار فأنجده عبد الله حتى انتصرا .

واشهر من هذه الغزوة مساعدة عبد الله بن صباح هذا لعبد الله آل سعود ، وذلك ان خلافاً نشب بين عبد الله آل سعود واخيه سعود آل سعود — عمي جلالة الملك الحالي — على القطيف والحسا فاستغاث عبد الله السعود بالحكومة العثمانية على اخيه فطلبت الحكومة العثمانية من عبد الله الثاني امير الكويت ان ينجد عبد الله السعود ، فجهز الاول جيشاً بريا عهد بقيادته الى اخيه مبارك واسطولا بحريا قاده بنفسه واتجه الى القطيف لمساعدة القوات العثمانية ، وقتح الكويتيون القطيف بقيادة عبد الله ثم فتحوا الحسا بقيادة مبارك وعادوا ظافرين .

وقد تألم سعود آل سعود من تدخل الكويتيين ضده فقرر غزو الكويت ، ولكنه ما كاد يقترب منها ويعرف قوة الكويتيين حتى رجع .

وفي عهد عبد الله الثاني غزا محمد آل رشيد الكويت ايضاً . توفي عبد الله ١٣٠٩ وترك من الاولاد الذكور خليفة وجابراً .

محمد بن صباح الثاني : تولى الحكم بعد وفاة اخيه عبد الله سنة ١٣٠٩ وكان بسيطاً ضعيفاً مسالماً مما جعل اخاه جراحاً يشاركه في الحكم فعلياً لا اسمياً . ولم يقع في عهده ما يستحق الذكر سوى الخلاف العظيم الذي دب بينه وبين جراح من جهة وبين اخيهما مبارك من جهة ثانية والذي انتهى بفاجعة أليمة بان قتل مبارك أخويه .

الخلاف بين الاخوة : لهذا الخلاف اسباب كثيرة يمكن حصرها في سببين كبيرين : السبب النفسي والسبب المادي؛ اما السبب النفسي فهو اختلاف نفسيتي محمد ومبارك، فمحمد رجل مسالم هادئ قنوع ضعيف الارادة ، وجراح رجل صاحب نفوذ بسبب ضعف اخيه . ومبارك رجل جريء طموح وثاب يعشق الشهرة ويحب السلطة وقد طمع بالاستيلاء على الحكم ولكن اخويه اللذين كانا دونه في بعد الهمة والشجاعة والمقدرة كانا يحولان دون اطماعه .

اما السبب المادي والمباشر فهو غنى محمد وجراح وفقر مبارك الذي كان في حاجة ملحة الى المال للقيام بالغزوات .

وقد انكر محمد وجراح ان يكون لمبارك حق بالاملاك التي لهم وكاد يفضي الامر الى ما لا تحمد عقباه لو لا ان تدخل العقلاء فحسم الخلاف باعتراف الاخوين بحقوق مبارك ، الا أن الخلاف نشب من جديد على امور مالية ايضاً تتعلق بالحسابات والنفقات الخ ... والذي زاد الطين بلة ضعف محمد الذي كان ينقض ما ابرم، ونقمة جراح الذي كان يشهر باخيه مبارك وبفقره في كل مكان ويدعو الناس الى عدم التعامل معه ، وكذلك تدخل يوسف آل ابراهيم بالخلاف ضد مصلحة مبارك . أضف الى ذلك مكر مبارك ومطامحه مما أجج نار العداوة .

لقد كان يرى مبارك انه أحق بالحكم من أخويه واقدر على ادارة دفة البلاد وان يكن هو اصغر منهما سناً ، وظل الخلاف يشتد والحقد يتفاقم حتى انتهى الى الاجرام بارتكاب الفاجعة الاليمة التالية :

الفاجعة الاليمة : في ليلة من ليالي ذي القعدة عام ١٣١٣ هجرية كان الظلام ينشر اجنحته السوداء على مدينة الكويت وقد نام فيها كل ذي عين الا مبارك وجماعته الذين لبسوا السلاح وقصدوا بقيادة مبارك اخويه محمداً وجراحاً عند الفجر ، وقسم مبارك جماعته الى اقسام فأخذ على عاتقه هو قتل اخيه محمد وعهد الى ابنه جابر بمساعدة بعض الخدم ان يقتل عمه

جراحاً وعهد الى ابنه سالم مع من بقي من الجند والعبيد بحراسة المؤامرة وقمع كل مقاومة او نجدة .

كانت نسمات الليل الباردة تهب في ذلك الصباح الهادئ فتبرد كل شيء الا نار الحقد المتأججة في صدر مبارك .

قصد مبارك اخاه محمداً في غرفة نومه فألفاه نائماً فأيقظه وأطلق عليه النار [١] فاستغاث محمد بأخيه القاتل واستعطفه ووعده ومناه وذكره بعهد الاخوة فما كان من مبارك الا ان ارسل النار ثانية الى صدر أخيه فأرداه قتيلا للحال .

وفي الوقت نفسه قصد جابر غرفة نوم عمه جراح فوجده يقظان وامرأته الى قربه فسدد النار الي صدره ولكن الرصاص لم ينطلق فهب جراح للدفاع عن نفسه وساعدته زوجته واحتدمت بين الفريقين معركة قوية لم يفصلها الا رصاص الخدم المصوب الى قلب جراح فخر يتخبط بدمه وزوجته تبكيه وتندبه .

ما كان ينبغي ان يتحارب الاخوة لو حكموا العقل ، ولو تحاربوا وجهاً لوجه وفي وضح النهار لكان في الامر بعض العذر ولكن مبارك قتل اخويه غيلة . ليغفر لك الله يا مبارك ، وليرحمكما الله ايها الشهيدان المظلومان .

مبارك : لم تشرق الشمس حتى كان خبر الفاجعة سرى في كل مكان : مبارك قتل اخويه ، فوجم الناس للنبأ المفجع واسرع مبارك ليرضي ابناء القتيلين فلم يقبلوا وارتحلوا الى البصرة لاعداد العدة للثأر .

اما الكويتيون فظلوا واجمين حتى دعا مبارك كبراءهم الى اجتماع عقده لهم وبين لهم الامر وان القضاء قد وقع فلم ير الناس بداً من مبايعته فبايعوه وعاهدهم هو على حفظ البلاد واقامة العدل واصلاح الناس والشورى في الامر سنة ١٣١٣

استلم مبارك الحكم وتخلص من اخويه ، ولكنه لم يتخلص من دسائس أبناء اخويه الموتورين وخالهم وحليفهم الداهية يوسف آل ابراهيم الذي فر من وجه

---

[١] ورد في كتاب الاستاذ محمد لطفي جمعه « حياة الشرق » ان القتل وقع بالسيف .

مبارك الى البصرة واثار واليها حمدي باشا على مبارك وأخذ الاثنان يمدان العدة للقضاء على مبارك . أما مبارك الداهية فالتجأ الى من هو اقوى من والي البصرة ، التجأ الى صديقه رجب باشا والي بغداد وأرسل اليه الهدايا فدافع رجب باشا عن مبارك امام الباب العالي واقنع رجال اسطمبول ان هذه الفاجعة عادية في البادية لا تستوجب تدخل الدولة العليـة خوفا من تدخل الانكليز ؛ فاقتنعت اسطمبول وأرسلت الى حمدي باشا بالكف عن مناوأة مبارك .

ولكن يوسف آل ابراهيم لم يهدأ بل جهز حملة بحرية لغزو الكويت ووجد الانكليز الفرصة مواتية للتدخل فأرسلوا طراداً لنجدة حملة يوسف ، ولكن افتضح امر الحملة فعادت الحملة واختفى الطراد . واذ ذاك ولّى يوسف شطر حاكم قطر اذ ذاك الشيخ قاسم بن ثاني عدو مبارك فاثاره ولكن مبارك اتقى الخطر بان تقرب من متصرف الحسا بالهدايا فتدخل هذا لمصلحة مبارك وحال دون حملة يوسف وقاسم على الكويت .

وسافر يوسف الى بومباي ابعاداً للشبه حول دسائسه ثم نمي اليه ان الحكومة العثمانية تريد مساعدته ضد مبارك وانها أمرت محمد آل رشيد في نجد ان يساعده على مبارك فسافر يوسف سراً الى حائل وقابل محمد آل الرشيد واقنعه ان مبارك خطر عليه وعلى آل الرشيد وعلى نجد وبدا بتجهيز حملة للقضاء على مبارك ولكن مات محمد وخلفه عبد العزيز آل رشيد الذي كان شديد الكره لمبارك وكثير الخوف منه ومن مطامعه واعد العدة للحرب .

كان مبارك ساهراً وكان مطلعاً على نوايا عبد العزيز آل رشيد فأخذ هو بدوره يستعد للحرب ايضاً . وبدأ مبارك بالغزو فارسل حملة على القصيم اشترك فيها آل سعود اعداء آل رشيد ومنهم عبد الرحمن آل فيصل وابنه عبد العزيز (جلالة الملك الحالي)

ووقعت بين الطرفين معركة شديدة في الصريف سنة ١٣١٨ انتهت بانتصار آل رشيد فرجع مبارك مهزوماً . ولكن اليأس لم يكن يعرف الى قلبه الكبير سبيلا .

مبارك والانكليز والدولة العثمانية : كانت الدولة العثمانية ترتاب بمبارك وتود ان تقضي عليه وكانت انكلترة تراقب حركاته وتنتظر الفرصة المواتية لتتدخل وتبسط سيطرتها على الكويت .

وقد ادركت الدولة العثمانية نيات الانكليز وخافت من اتفاقهم مع مبارك ضدها فارسلت بعد واقعة المصريف جيشاً لاحتلال الكويت ولكن والي البصرة عارض وقام مبارك بزيارة للفاو قرب البصرة واعلن خضوعه للدولة العلية فرجعت الجيوش العثمانية ، ولكن بعدما فهمت ان انكلترة ستدافع عن الكويت عند اللزوم.

وكانت مخاوف الدولة العثمانية من مبارك والانكليز في محلها لأن الطرفين كانا على اتصال انتهى بعقد معاهدة بين مبارك والانكليز خلاصتها ان تدافع انكلترة عن الكويت ضد الاعتداءات الخارجية مقابل ان تكون الكويت تحت الحماية البريطانية وان تتعهد الكويت ان لا تبيع ولا تؤجر اية أرض في الكويت لأية دولة .

أما غاية الانكليز من هذه المعاهدة فعسكرية بحتة اذ كانت تحب ان ترتكز الى نقطة في خليج العرب تؤمن سيطرتها على طرق المواصلات الامبراطورية وخاصة مع الهند .

مع العلم بان البصرة كانت في يد الدولة العثمانية وكانت تريد ان تتخذ الكويت مركزاً لضرب العثمانيين في العراق في حالة نشوب حرب .

واما شرط عدم بيع وايجار الاراضي فللقضاء على مطامع الالمان ومحاولاتهم في السيطرة على الخليج ومد الخط الحديدي برلين — بغداد الى الكويت ومن ثم القضاء على النفوذ البريطاني في الهند .

واما غاية مبارك من المعاهدة فالتخلص من الدولة العثمانية ومن تهديدها له في كل وقت بتحطيم ملكه ، والاستناد الى قوة مهابة تحفظ كيانه .

وقد بقيت هذه المعاهدة مكتومة ولكن الدولة العثمانية كانت تزداد ريبة في موقف مبارك منها ولم تجد بداً من تحطيمه بالقوة فارسلت اليه انذاراً بثلاثة بنود خيرت مبارك في واحد منها وهي :

١ — السفر الى اسطمبول وتعيينه عضواً في مجلس الشورى .

٢ — مغادرة الكويت الى أية جهة ، على ان تدفع له الحكومة العثمانية معاشاً دائماً .

٣ — القوة القاهرة في حالة الرفض .

وحمل هذا الانذار الى مبارك وفد عثماني قدم الكويت وأبلغه لمبارك فاستنجد هذا بحلفائه الانكليز الذين ارسلوا الى مياه الكويت طراداً حربياً لحمايتها وحماية مبارك ، وحاول مبارك ان يتخلص من هذا الانذار بلباقة فستعطف وتوسل ولكنه لم يفز بطائل .

واصر الوفد العثماني على الانذار فما كان من مبارك الا أن رفض الانذار واعلن تعاقده مع انكلترة وإذ ذاك انذر الطراد الوفد بضرورة مغادرة الكويت وإلا استعمل معه الشدة والقوة فغادر الوفد الكويت يتعثر باذيال الخيبة ، وسكتت الدولة العثمانية على مضض تحاشياً من الاصطدام مع الانكليز واثارة حرب هي في غنى عنها فاكتفت بان ارسلت جيوشها فاستولت على بعض مناطق الكويت الشمالية فاحتج مبارك فلم يلق اذناً صاغية فاستنجد بالانكليز فلم يلقوا اليه بالا .

وقد نزع الراية العثمانية وعرضت عليه عدة رايات ليختار احداها فرفض ووضع الراية الكويتية التي وصفتها سابقاً .

وفي سنة ١٣٢٠ حاول يوسف ابراهيم مع ابناء الشهيدين غزو الكويت باسطول كبير ولكن امرهم افتضح وهب مبارك للدفاع ففضل المهاجمون الرجوع ، وفي الطريق تعقبهم طراد انكليزي اسر الاسطول واحرقه لأن سياسة الانكليز تقضي بعدم وجود اية قوة بحرية او حربية تنازعها السيادة على الخليج ولانهم يريدون ان يبقى الخليج هادئاً ، وادّ ذاك نظم يوسف حملة برية على الكويت أغارت على بعض القبائل على حدود العراق فقتلت ونهبت .

وفي سنة ١٣٢١ هاجم مبارك ومعه عبد العزيز آل سعود جلالة الملك الحالي سلطان الدويش وهزمه وغنم منه اموالا كثيرة وكان مبارك حليفاً قوياً لآل سعود ضد آل رشيد يمدهم دوماً بالمال والسلاح والرجال حتى تمكنوا من فتح الرياض بسنة ١٣٢٠ التي انتصر فيها عبد العزيز آل سعود .

وكانت سياسة مبارك قائمة على القضاء على خصومه آل رشيد لأنهم كانوا يطمحون بالتهام الكويت ولأنهم كانوا حلفاء العثمانيين ومبارك عدو العثمانيين وعدو حلفائهم ايضاً ، وظل مبارك يمد آل سعود ضد آل رشيد حتى انتصر آل سعود أخيراً في معركة (روضة المتهنات) عام ١٣٢٤ التي قتل فيها عبد العزيز آل رشيد وبزغ نجم عبد العزيز آل سعود فاستراح مبارك من خصم عنيد .

دهاء مبارك . كان مبارك سياسياً محنكاً وذكياً داهية ساهراً على شؤون امارته بل كان اعظم سياسي في جزيرة العرب في عصره .

كان محاطاً باعداء كثيرين اقوياء يكيدون له ويتربصون به الدوائر ، فهناك الدولة العثمانية الناقمة عليه والتي كانت تحاول ان تقضي عليه تارة بالحيلة وتارة بالقوة ولكنها لم توفق لان مبارك كان ادهى منها .

كان مبارك يتمرد على الدولة العثمانية ويقاوم رغباتها بلباقة ، وما كان يتظاهر بمعاداتها ، وما كان يظهر ما في نفسه ابقاء على صلاته واحتياطاً للمستقبل المجهول . كان يراوغ ويداور ، كان يعلن خضوعه للخليفة وأنه من الرعايا العثمانيين ويرفع الراية العثمانية ويطلب من اسطمبول العطف والرضى ويظهر لها الحب والولاء ، وكان في الوقت نفسه يحبط مساعي الدولة العثمانية لسحقه وفرض سيادتها على الكويت كل ذلك بمكر ودهاء ، فتارة يلتجيء الى انكلترة وتارة يحتج او يهدد .

وكان الى ذلك يتقرب من الباب العالي بالعطايا والهبات اظهاراً لولائه وطاعته فأمد الدولة العثمانية بالمال في حرب البلقان وارسل لها مساعدة مالية اعانة لمنكوبي حريق اسطمبول فرضيت عنه الدوله وانعمت عليه بالوسام الحميدي من الدرجة الاولى وانتدبت لذلك وفداً خاصاً حمله الى مبارك في الكويت وقلده اياه باحتفال عظيم ، كما انه ساهم في حرب طرابلس الغرب واعلن للدولة انه مستعد ان يمدها بعشرات الالوف من المقاتلة .

اما موقف مبارك من الانكليز فكان موقف سياسي لبق ، لم يستسلم اليهم بكليته خيفة ان يقع فيما كان يخشاه من الدولة العثمانية وهو زوال نفوذه ولم يعرض عنهم .

بكليته خشية ان يكيدوا له ويساعدوا خصومه عليه ، كان ليناً خشن الملمس .

وقد استطاع بحنكته ان يحتفظ بسلطانه وباستقلال الكويت . كان يجامل الانكليز ولا يمكنهم منه .

وأما موقفه من آل رشيد فكان موقف عداء دائم يساعد آل سعود ضدهم حتى استتب لآل سعود الامر .

واما موقفه من ابناء اخويه وحليفهم يوسف فكان موقف مراوغة وصلابة فكان يستعطفهم ويدعوهم الى العودة الى الكويت ويعدهم بالمساعدة ولكنه كان في الوقت نفسه يقظاً من غاراتهم ودسائسهم يردها بغارات ودسائس مثلها. ورغم انه أنهك الكويتيين بالحروب والضرائب إلا انه كان يعرف كيف يملكهم ويقنعهم بالسير وراءه .

وهو رغم البزائم التي مني بها كان قوي الشخصية يفرض سلطانه على الجميع ولا يجرؤ احد على نقده . كان صلباً ليناً في وقت واحد يجرح ويداوي وقداغضب مرة بعض كبار تجار اللؤلؤ فنزحوا عن الكويت فرأى في نزوحهم ضرراً وخسارة كبيرة له وللكويت فارسل اليهم الوفود لمصالحتهم ثم سافر بنفسه الى البحرين ليصالح هلال المطيري ويعيده الى الكويت وهذا يدل على دهاء عظيم .

وكانت سياسة مبارك تقضي بمصادقة الشيخ خزعل امير المحمرة لتسهيل تجارة الكويت ولمنع عدوان قبائل المحمرة على الكويت وقد قويت هذه الصداقة لدرجة ان بنى مبارك قصراً خاصاً لخزعل في الكويت ينزل به اذا قدمها ، وبنى خزعل في المحمرة قصراً خاصاً لمبارك ينزل به ولا يزال قصر الشيخ خزعل موجوداً الى اليوم على بعد مائة متر فقط من قصر الامير .

لا شك ان مبارك كان اعظم امراء الكويت قطبة وبطل الجزيرة العربية في عصره ، وكان بعيد المطامح يريد ان يوسع ملكه وان يضحى سيد الجزيرة العربية بلا منازع فخاض لذلك حروباً كثيرة انتصر في بعضها وانكسر في بعض .

اما سبب انكساره فهو : ١ — قلة عدد جيوشه . ٢ — قوة خصومه .

ولكنه رغم ذلك فرض احترامه واحترام إمارته على كل من جاوره .

وقد استطاع ان يجعل للكويت مركزاً ممتازاً في الخليج وفي جزيرة العرب كلها وقد اشتهرت الكويت به .

كان مبارك في اول الامر محافظاً متديناً متمسكاً بالاخلاق ولكنه فسق في اخريات ايامه واستهتر وجاهر بالمعصية . والغريب انه بينما كان منغمساً في اللذات والشهوات كان يحرمها على رعيته وينزل بهم لذلك العقوبة الصارمة . وكان ظالماً سفاكاً زاد المكوس وفرض ضرائب كثيرة أن منها الشعب ولكنه لم يجرؤ على معارضته .

كان انانياً يحب نفسه ويسعى لاشباع شهوته للحكم والسلطة والمال واللذة بجميع الطرق المشروعة وغير المشروعة وقد جمع ثروة هائلة . ومن المؤسف انه لم يقم خلال احدى وعشرين سنة حكم خلالها بأي اصلاح يذكر مع قدرته على ذلك ومع توفر المال والسلطة سوى مشروع تقطير ماء البحر الذي جاءت الحرب الكبرى الماضية فقضت عليه لاسباب سياسية . وهو لم يفتتح طريقاً ولم يبن مستشفى ولم ينشىء مدرسة . اما المدرسة المباركية التي سميت باسمه فقد انشأها الاهلون في عهده وليس له فيها فضل .

ولم يعن بالثقافة والعلم ولم يرسل الشباب الى خارج الكويت للتعلم ولم يستقدم البعثات الفنية الصحية والمالية والعلمية وإنما عني ببناء قصوره الكثيرة وبجمع المال لنفسه وبشن الغارات وبالانكباب على اللذات . كان ككل مستبد يخاف من النهضة لانها عدوة الظلم .

إن النهضة واستنارة الافكار هي خير مساعد للحاكم العادل الطيب ؛ والمتعلمون خير جند له يحفظونه ويحفظون عرشه؛ وقد فات مباركا ان الذي يخلد الامراء ليس المال والقصور وانما المشاريع النافعة والخدمات الحقيقية كبناء المدارس والمستشفيات ونشر العلم والمكتبات والتآليف والذكر الحسن ...

وقد اشترط مبارك قبيل وفاته ان ينحصر الحكم في ذريته فقط .

توفي مبارك سنة ١٣٣٤ تاركاً سبعة اولاد وهم: جابر وسالم وصباح وفهد وناصر وحمد وعبد الله .

جابر الثاني : وهو ابن مبارك ووالد سمو الامير الحالي تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ١٣٣٤ . كان حاكما متواضعاً رحيماً بشعبه ألغى كثيراً من الضرائب الثقيلة التي فرضها ابوه وسامح كثيراً من التجار ببعض ديونهم للحكومة .

كان عهده عهد سلام ورخاء وطمأنينة تفرغ فيه الكويتيون للتجارة وجمع المال وامتد نشاطهم التجاري الى نجد وسورية ومصر والعراق والهند . ولم يحدث في عهده امر ذو بال : ولم يقم باصلاح يذكر لقصر مدة حكمه فقد توفي رحمه الله سنة ١٣٣٥ بعد ان ترك من الاولاد ثنين هما : احمد سمو الامير الحالي وحمود .

سالم بن مبارك : تولى الحكم عام ١٣٣٥ بعد وفاة اخيه ، كان لطيفه مهذبا ذا اخلاق عالية قليل الكلام لا يكترث لملبسه ومظهره وكان متمسكا بالدين متقشفاً يحب المناقشة في الدين والادب ، ولكنه كان ممسكاً ، حارب الفسق والفجور وخفض الضرائب وسهل الاستيراد وشجع التجارة وفي عهده مد الانكليز اسلاك المخابرة بين البصرة والكويت .

لم يكن سالم كفوءاً في السياسة ولم يكن حكيما في ادارة دفة الحكم مما سبب للكويت نكبة كبرى ، اذ نشب العداء بين سالم وابن سعود ، ولهذا العداء اسباب ظاهرة كثيرة .

أما السبب الحقيقي فهو طمع ابن سعود بالاستيلاء على الكويت التي هي ميناء نجد فمن مصلحة نجد ان تنضم اليها الكويت .

وهناك سبب آخر هو الخلاف المذهبي بين الكويتيين الذين ينفرون من الوهابية وبين الاخوان النجديين الذين يرمون الكويتيين بالكفر .

لم تكن مطامع آل سعود في الكويت جديدة وإنما هي قديمة نظرا لوضع الكويت الجغرافي ، ولكن الحكام من آل صباح كانوا يتحلون بالحكمة والدراية فاحتفظوا

باستقلال بلادهم . اشتد النزاع بين سالم وابن سعود فأغار فيصل دويش رئيس قبيلة مطير على عرب الكويت وهزمهم ، وغنم منهم في معركة (حمض) سنة ١٣٣٨

ففكر سالم اذ ذاك ببناء سور للكويت فهب الكويتيون كباراً وصغاراً وعملوا ليلا نهارا وتم بناء السور في اقل من شهرين ودارت بين سالم وابن سعود مفاوضات شترط فيها ابن سعود على سالم أن لا يجند الرجال لحربه؛ وان يتنازل عن بعض القبائل لابن سعود مقابل ان يرد له الاموال المسلوبة فانقطعت المفاوضات بين الطرفين واخذا يستعدان للحرب .

معركة الجهرة : وهجم فيصل الدويش على الكويت في الجهرة في محرم سنة ١٣٣٩ باربعة آلاف من الاخوان النجديين واشتبك القتال بين النجديين والكويتيين وعددهم ١٥٠٠ وتساقط الاخوان بالمئات تحت نيران الكويتيين الذين كاد يتم لهم النصر لولا نفاذ ذخيرتهم وثبات خصومهم .

ودخل الاخوان الجهرة وجرت فيها سلسلة معارك اضطر فيها الكويتيون الى الالتجاء للقصر الاحمر الذي كان فيه سالم الذي ارسل يطلب النجدة ، وإذ ذاك بدأت المفاوضة لصلح بين الطرفين .

ومن اغرب مجريات المفاوضة ان الدويش ارسل يعرض على سالم وجماعته الاسلام وترك الدخان وتكفير الاتراك ، وهذا امري جمود وتعصب وجهل لأن كل من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فهو مسلم لا يحل قتاله ؛ وانتهت المفاوضات بعقد الهدنة وارتحل الاخوان بعدما فقدوا الفاً من رجالهم ؛ وفقد الكويتيون ٤٠٠

وقد شاع بعد ذلك في الكويت أن ابن سعود سيجدد الهجوم على الكويت فاستنجد سالم بالانكليز فارسلوا طرادين وطيارتين القتا منشورات تهديدية على الاخوان فارتحلوا نهائياً عن ارض الكويت وسادت الطمأنينة لان السياسة الانكليزية

تقضي بان تظل الكويت تحت حمايتها وان لا تنضم الى أية دولة عربية اخرى .

وقد نصحت انكلترة سالماً بعدم معاداة ابن سعود ؛ وأرسل سالم وفداً الى ابن سعود لعقد الصلح برئاسة ابن اخية الشيخ احمد الجابر (سمو الامير الحالي) فذهب الوفد واثناء غيابه توفي سالم ؛ فتنفس ابن سعود الصعدا وانتهت المشكلة .

توفي سالم سنة ١٣٣٩ وترك من الاولاد : عبد الله (ولي العهد الآن) وعاياً وفهداً وصياحاً ودعيجاً وقد توفي الاخير رحمه الله .

obeikandl.com